الكتاب: الغيبة الصغرى والسفراء الأربعة
المؤلف: الشيخ فاضل المالكي
الجزء:
الوفاة: معاصر
المجموعة: من مصادر العقائد عند الشيعة الإمامية
تحقيق:
الطبعة: الأولى
سنة الطبع: ١٤٢٠
المطبعة:
الناشر: مركز الأبحاث العقائدية - قم - ايران
ردمك: ٩٦٤-٣١٩-٢٢٦-١
ملاحظات:

سلسلة الندوات العقائدية (٣٩)

# الغيبة الصغرى
# والسفراء الأربعة

تأليف:
الشيخ فاضل المالكي

" مركز الأبحاث العقائدية "

مركز الأبحاث العقائدية
إيران - قم - صفائية - ممتاز - رقم ٣٤
ص. ب: ٣٣٣١ / ٣٧١٨٥
هاتف: ٧٤٢٠٨٨ (٢٥١) ٩٨ +
فاكس: ٧٤٢٠٥٦ (٢٥١) ٩٨ +
البريد الألكتروني: net. aqaed aqaed
الصفحة على الإنترنيت com. aqaed. www
شابك (ردمك) ١ - ٢٢٦ - ٣١٩ - ٩٦٤
الغيبة الصغرى
والسفراء الأربعة
الشيخ فاضل المالكي
الطبعة الأولى - سنة ١٤٢٠ ه
* جميع الحقوق محفوظة للمركز *

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة المركز:

لا يخفى أننا لا زلنا بحاجة إلى تكريس الجهود ومضاعفتها نحو الفهم الصحيح والافهام المناسب لعقائدنا الحقة ومفاهيمنا الرفيعة، مما يستدعي الالتزام الجاد بالبرامج والمناهج العلمية التي توجد حالة من المفاعلة الدائمة بين الأمة وقيمها الحقة، بشكل يتناسب مع لغة العصر والتطور التقني الحديث.

وانطلاقا من ذلك، فقد بادر مركز الأبحاث العقائدية التابع لمكتب سماحة آية الله العظمى السيد السيستاني – مد ظله – إلى اتخاذ منهج ينتظم على عدة محاور بهدف طرح الفكر الإسلامي الشيعي على أوسع نطاق ممكن.

ومن هذه المحاور: عقد الندوات العقائدية المختصة، باستضافة نخبة من أساتذة الحوزة العلمية ومفكريها المرموقين، التي تقوم نوعا على الموضوعات الهامة، حيث يجري تناولها بالعرض والنقد والتحليل وطرح الرأي الشيعي المختار فيها، ثم يخضع ذلك الموضوع

- بطبيعة الحال - للحوار المفتوح والمناقشات الحرة لغرض الحصول على أفضل النتائج.
ولأجل تعميم الفائدة فقد أخذت هذه الندوات طريقها إلى شبكة الانترنت العالمية صوتا وكتابة.
كما يجري تكثيرها عبر التسجيل الصوتي والمرئي وتوزيعها على المراكز والمؤسسات العلمية والشخصيات الثقافية في شتى أرجاء العالم.
وأخيرا، فإن الخطوة الثالثة تكمن في طبعها ونشرها على شكل كراريس تحت عنوان " سلسلة الندوات العقائدية " بعد إجراء مجموعة من الخطوات التحقيقية والفنية اللازمة عليها.
وهذا الكراس الماثل بين يدي القارئ الكريم واحد من السلسلة المشار إليها.
سائلينه سبحانه وتعالى أن يناله بأحسن قبوله.
مركز الأبحاث العقائدية
فارس الحسون

بسم الله الرحمن الرحيم تمهيد:
الحمد لله رب العالمين، وصلى الله على سيدنا ونبينا محمد وآله الطيبين الطاهرين المعصومين، لا سيما بقية الله في الأرضين سيدنا ومولانا الإمام المهدي المنتظر عجل الله تعالى فرجه الشريف وجعلنا من أنصاره والشهداء بين يديه.
يقع الكلام في موضوع الغيبة الصغرى، وفي هذا الموضوع عدة مجالات للحديث، وخير مستهل نستهل به هذا البحث هو ما رواه النعماني أعلى الله مقامه الشريف في كتاب الغيبة بعدة طرق عن أبي عبد الله الصادق (عليه السلام) قال:
" للقائم غيبتان - وفي لفظ: أن لصاحب هذا الأمر غيبتين - إحداهما قصيرة والأخرى طويلة: فالأولى يرجع فيها إلى أهله يعلم بمكانه فيها خاصة من شيعته، والأخرى يظهر فيها ولا يدري أين هو يشهد الموسم يرى الناس ولا يرونه ولا يعلم بمكانه إلا مواليه في دينه ويقال فيها: هلك في أي واد سلك " (١).

---

(١) - الغيبة للنعماني: ١٧٠ - ١٧٦.

هناك كلام في دراية هذا الحديث من عدة جهات:
الجهة الأولى:
أن الإمام صلوات الله عليه أنبأ عن غيبة صاحب الأمر (عليه السلام) قبل مولده، وهذا في الواقع جزء من مخطط متكامل في الشريعة الإسلامية، بدأ بالنبي الأعظم (صلى الله عليه وآله وسلم) في قضية التبشير والأنباء والأخبار
عن أصل قضية ظهور صاحب الأمر (عليه السلام) وغيبته وعن تفاصيل بعض هذا الموضوع، وما ورد عن الإمام الصادق (عليه السلام) في موضوع الغيبة جزء من هذا المخطط؟
فالعملية عملية إعداد للأمة لكي تستقبل هذا الإمام الثاني عشر صلوات الله وسلامه عليه بما يحف إمامته من خصوصيات، ومن أهم وأبرز هذه الخصوصيات قضية غيبته (عليه السلام)، فكان ما ورد من الرسول والأئمة الأطهار (عليهم السلام) في هذا المورد عبارة عن عملية تعبئة نفسية للأمة الإسلامية لاستقبال هذا الحدث المهم، حدث الغيبة.
الجهة الأخرى:
أن هذا الحديث قسم الغيبة إلى قسمين: غيبة قصيرة وغيبة طويلة، وربما يعبر عنها بالصغرى والكبرى، وبتعبير المفيد (قدس سره) القصرى والطولى (١).
هنالك غيبة قصيرة وغيبة طويلة كما نعلم، القصيرة التي نتكلم

---

(١) الإرشاد: ٣٤٦

عنها، وهنالك عدة جهات للبحث في هذه الغيبة القصيرة ستأتي إن شاء الله قبل الإفاضة فيها.
بقية جهات هذا الحديث الشريف على نحو الاجمال:
هنالك غيبتان بحسب فرض هذا الحديث الشريف، وكذلك نعتت الغيبة الصغرى القصيرة بأنه يرجع فيها إلى أهله، والمقصود هنا بأهله ليس المعنى المتعارف، إنما المقصود بأهله هو ما عبرت عنه الرواية في لفظ آخر: " يعلم بمكانه فيها خاصة من شيعته "، فالمقصود من أهله: الخاصة من شيعته، يعني النواب الخاصون، وكذلك الوكلاء الذين وكلهم (عليه السلام) في القضايا الجزئية أو القضايا الشخصية، كما سيأتينا أيضا إن شاء الله تعالى أن للإمام (عليه السلام) في غيبته الصغرى نوعين من النواب: هناك النواب العامون عن الإمام (عليه السلام) وهم الأربعة، وهناك النواب الخاصون، والمقصود بالخاصين يعني في القضايا الجزئية والشخصية، هناك مقابلات في قضايا محددة ووقائع محددة نص عليها المؤرخون جرت بين الإمام سلام الله عليه وبين بعض الخواص.
فإذن المقصود هنا بالأهل ليس خصوص الأهل بمعنى الأسرة التي يرجع إليها، ذلك أمر آخر ليس الحديث في صدده، الحديث ليس في صدد غيبته عن أسرته، الحديث في صدد غيبته عن أمته وشيعته، يعلم بمكانه فيها خاصة من شيعته، وقد قلنا بأن المقصود هو النوعان من النواب، النواب العامون في زمن الغيبة الصغرى، والمقصود منهم هم الذين ينوبون عن الإمام سلام الله عليه في مختلف المسائل التي خولوا فيها.

ومن الطبيعي أن هناك مختصات للإمام سلام الله عليه طبق مقام إمامته وولايته ومركزه وموقعه، لا نتكلم عن ذلك العالم، ذلك عالم آخر لمقامهم صلوات الله عليهم، إنما نتكلم في حدود الصلاحيات العامة التي يفوضها (عليه السلام) لهؤلاء النواب العامين طبق الشروط والظروف الموضوعية القائمة آنذاك.

النيابة العامة:

مقصودنا هنا من النيابة العامة ليس اصطلاح النيابة العامة في عهد الغيبة الكبرى، في عهد الغيبة الكبرى يراد من النيابة العامة هي النيابة التي لم تحدد بالتشخيص لشخص النائب، إنما حددت بعنوان عام ينطبق على هذا الفقيه أو على ذلك الفقيه، فيعبر عن الفقهاء في عصر الغيبة بأنهم نواب عامون.

هنا صفة العمومية في النائب العام في زمن الغيبة المقصود منها العمومية بلحاظ العنوان المعين، العنوان المشخص، عنوان الحوالة، الإمام حينما يحيل في زمن الغيبة الكبرى لا يحيل على أشخاص معينين بأسمائهم إنما يقول بعنوان عام، مثلا: " وأما الحوادث الواقعة فارجعوا فيها إلى رواة حديثنا فإنهم حجتي عليكم وأنا حجة الله " (١)، فالعمومية هنا بلحاظ صيغة التعيين، والتعيين تم بالنوع ولم يتم بالشخص، ففي زمن الغيبة الكبرى المقصود من النيابة العامة العمومية بلحاظ صيغة التعيين.

---

(١) كمال الدين: ٤٨٤، الغيبة للطوسي: ٢٩١ ح ٢٤٧.

أما النيابة العامة في الغيبة الصغرى، فالمقصود منها العمومية
بلحاظ الصلاحيات لا بلحاظ صيغة التعيين، فإن صيغة التعيين في النيابة العامة في
الغيبة الصغرى صيغة شخصية، يعني الإمام سلام الله
عليه ينص على أسماء النواب، مثلا يقول: عثمان بن سعيد وكيلي،
محمد بن عثمان وكيلي، لكن في تمام الصلاحيات، فالعمومية في
النيابة العامة في الغيبة الصغرى ناظرة إلى دائرة الصلاحيات، وأما
العمومية في النيابة العامة في الغيبة الكبرى فناظرة إلى مصدر
الصلاحية وإلى منبع هذه
الصلاحية وطبيعة أو صيغة التشخيص أو
التعيين.
النيابة الخاصة:
ويقابل النيابة العامة بذلك المعنى في الغيبة الكبرى النيابة
الخاصة، النيابة الخاصة التي تقابل النيابة العامة في الغيبة الكبرى هي
عبارة عن النيابة التي تكون بتشخيص شخص معين بخصوصه، فيعبر
عنها الخاصة، وهذه النيابة الخاصة هي: عبارة عن تعيين النائب
بخصوصه، وقد تسمى نيابة عامة بلحاظ سعة دائرة صلاحياته.
النيابة الشخصية:
وهنالك نيابة شخصية قد يعبر عنها لئلا يقع الخلط بين
المصطلحات، ويمكن أن نعبر عنها بأنها نيابة شخصية في زمن الغيبة
الصغرى، ويراد منها النيابة في قضايا شخصية أو في مسائل جزئية،
كما استناب الإمام سلام الله عليه أحمد بن إسحاق الأشعري القمي

رضوان الله عليه في بعض المسائل الشخصية وأبو الأديان البصري (١) وما شاكل، لكن لم يكن أبو الأديان ولا أحمد بن إسحاق من الأبواب العامين والسفراء الأربعة، إنما كانت وكالتهما عن الإمام سلام الله عليه في قضايا خاصة وجزئية،

وكما يعبر: قضية في واقعة.

فإذن المقصود هنا بخاصة شيعته (عليه السلام) في زمن الغيبة الصغرى أنهم يعلمون بمكانه، المقصود هو السفراء الأربعة الذين سيأتي الكلام فيهم، مضافا إلى النواب الذين ينوبون عنه (عليه السلام) في بعض المسائل الجزئية.

تثنية الغيبة:

تقول الرواية: " والأخرى يظهر فيها "، الأخرى: يعني الغيبة الكبرى، يظهر فيها: يعني في آخرها بقرينة ما سيأتي من فقرات، يظهر فيها: يعني أن ظهوره (عليه السلام) إنما يكون في الغيبة الكبرى، يعني في نهاية الغيبة الكبرى يكون ظهوره (عليه السلام).

ومن هذا نفهم شيئا وهو: أنه لا ظهور بعد الغيبة الصغرى، بخلاف المرتسم في بعض الأذهان: أن الفرق بين الغيبتين أو تثنية الغيبتين بلحاظ أن الإمام سلام الله عليه غاب في الغيبة الصغرى ثم ظهر ثم غاب، هذا وهم في الواقع، الإمام سلام الله عليه لم يظهر بالمعنى الذي نريده من الظهور حتى يفرق بين المرحلتين بأن الإمام غاب مثلا سبعين سنة ثم ظهر للعيان بشكل عادي ثم غاب الغيبة الكبرى.

---

(١) كمال الدين: ٤٧٥.

إذن ما هو الوجه في التثنية للغيبة؟ يقال: غيبة صغرى وغيبة كبرى؟

الوجه: ليس قضية الظهور وعدم الظهور، بل لم يظهر الإمام عليه السلام في كلتا الغيبتين وفي تمام الفترتين وفي الفاصل بين الفترتين، كما إنه ليس الفارق بين الغيبتين هو عبارة عن قصر وطول المدة فقط.

إذن ما هو المدار على تثنية الغيبة؟

المدار في واقع الأمر على طبيعة تعامل الإمام سلام الله عليه في الغيبة الصغرى مع قواعده الشعبية، أو طريقة تعامله مع قواعده الشعبية في الغيبة الصغرى عنها في الغيبة الكبرى:

في الغيبة الصغرى طريقة تعامله ولقائه وتماسه مع قواعده الشعبية هو عن طريق السفراء الذين سيأتي الحديث عنهم إن شاء الله، أما في الغيبة الكبرى فطريقة تماسه (عليه السلام) لم يكن عن طريق سفراء خاصين، إنما كان عن طريق النواب العامين، عن طريق الفقهاء.

فالفرق بين هاتين الفترتين: أنه في تلك الفترة القصيرة كان هناك سفراء يلتقي الإمام سلام الله عليه من خلالهم مع قواعده الشعبية، وأما في الغيبة الكبرى فلم يكن هناك سفراء بذلك المعنى، فلهذا للتفرقة بين هاتين الفترتين عبر عن الغيبة الأولى بأنها غيبة صغرى وعبر عن الثانية بأنها غيبة كبرى، وإلا لم يفصل ظهور بين الغيبتين، ولهذا قال (عليه السلام): " والأخرى يظهر فيها ".

غياب هوية أم غياب شخصية

في بعض ألفاظ الحديث فقرة: " والأخرى يظهر فيها " جاءت

متأخرة، يعني هكذا: " والأخرى لا يدري أين هو، يشهد الموسم، يرى الناس ولا يرونه " (١) " ولا يعلم بمكانه فيها إلا خاصة مواليه في دينه " (٢).
هذه العبارة محل بحث وتحليل ومحل تدقيق في واقع الأمر.
فما المقصود من أنه في عهد الغيبة الكبرى لا يعلم بمكانه إلا مواليه في دينه؟
هذا يستدعينا المرور بمدلول غيبته (عليه السلام)، فما هو معنى غيبته؟
هل إن غيبته كما يتصور البعض غياب شخصية؟ يعني شخص الإمام، هذا الشخص، هذه الشخصية الطبيعية تغيب؟ أو أن المقصود بالغياب غياب هوية، إن هذه الشخصية الطبيعية موجودة تعيش فيما بين الناس ولكنها لا تشخص، هذا المعبر عنه بغياب الهوية.
والصحيح أن غيابه (عليه السلام) غياب هوية لا غياب شخصية، فإن شخصه سلام الله عليه موجود، ولكن الناس لا يشخصونه ولا يعرفونه بشخصه وبهويته، ولهذا يقول: " يشهد الموسم يرى الناس ولا يرونه ولا يعلم بمكانه إلا مواليه في دينه "، باعتبار أن غياب الإمام غياب هوية لا غياب شخصية، فالشخص موجود، ولكن هذا الشخص المقدس صلوات الله وسلامه عليه يمكن أن يلتقي به بعض الأبدال وبعض الأوحديين وبعض الأفذاذ من الناس ممن يليق أن يفوز بلقاء الإمام صلوات الله وسلامه عليه ورؤية طلعته المباركة.

---

(١) - الغيبة للنعماني: ١١٧.
(٢) - الغيبة للنعماني: ١٥٥.

وهذا باب واسع عقد له الميرزا النوري أعلى الله مقامه كتابا في هذا المعنى فيمن رأى الإمام المهدي سلام الله عليه في الغيبة الكبرى، وكذلك عقد له السيد البحراني كتابا سماه تبصرة الولي فيمن رأى القائم المهدي سلام الله عليه، وهنالك ملحق في بحار العلامة المجلسي رحمه الله فيمن التقى بالإمام سلام الله عليه في عهد الغيبة الكبرى (١).

وفي الجملة، هنالك لقاءات، ولكن هذه اللقاءات إنما هي حجة على أصحابها، لأن في زمن الغيبة الكبرى نعلم أن الإمام سلام الله عليه لم يعين سفيرا خاصا، فلا يسعنا أنه كل ما جاءنا شخص وقال: أنا سفير الإمام، أنا رأيت الإمام، أن نرتب الأثر، نعم لا يسعنا أن نكذبه، خاصة إذا كان مؤمنا ظاهر الإيمان ظاهر العدالة، لا نواجهه بالكذب، ولكن في نفس الوقت لا يترتب أثر شرعي على دعواه أنه رأى الإمام سلام الله عليه.

وأحيانا ربما تقوم قرائن على كذب بعض المدعين، وما أكثر المدعين للرؤية، سواء في الغيبة الصغرى أو في الغيبة الكبرى، كما أن هنالك من ادعى المهدوية، وهنالك من ادعى السفارة، وهنالك من ادعى الرؤية، نحن لا نتكلم عن أن هنالك أشخاصا قد يدعون كذبا أو زورا الرؤية، هذا عالم آخر، إنما نتكلم عن أصل المبدأ من حيث المبدأ (إمكان رؤيته (عليه السلام).

---

(١) - البحار ٥٣: ٢٠٠.

الإمام باعتبار أن غيابه غياب هوية لا غياب شخصية، فشخصه صلوات الله عليه يمكن أن يفوز بلقائه الأوحدي من الناس، ولكن من هو الأوحدي من الناس؟ ذاك علمه عند ربي، " ولا يعلم بمكانه إلا مواليه في دينه ويقال فيها: هلك في أي واد سلك " في هذه الغيبة الكبرى.

تعقيب على بحث تثنية الغيبة:

وفي بعض الألفاظ قال: " يظهر فيها "، ويظهر بقرينة الفقرات السابقة يقصد به أن الظهور المكتوب له سلام الله عليه حيث يملأ الله تعالى به الأرض قسطا وعدلا بعد أن تملأ ظلما وجورا، إنما يكون في آخر المطاف وفي آخر هذه الغيبة الكبرى، فالإمام سلام الله عليه قيد هذه الغيبة الكبرى بأن الظهور فيها، بينما الغيبة الصغرى لم يذكر فيها ظهور، وهذا يؤيد ما ذكرناه قبل قليل بأن الفاصل بين الغيبتين الصغرى والكبرى ليس قضية الظهور – أنه ظهر بعد سبعين سنة مثلا للعيان ثم غاب فرآه الناس ثم غاب ثم يظهر ليراه الناس – لا، بل إن له (عليه السلام) بعد غيبته الأولى ظهورا عاما علنيا واحدا، وهو حيث يأذن الله تعالى له بالفرج، فيقوم بأمر الله تبارك وتعالى ويملأ الله به الأرض قسطا وعدلا.

ويدل على ذلك أيضا ما رواه الشيخ – شيخ الطائفة أعلى الله مقامه – في غيبته عن جماعة من الشيعة منهم الحسن بن أيوب بن نوح: أنه اجتمع أربعون رجلا من أصحاب الإمام العسكري (عليه السلام) عنده يسألونه عن الحجة بعده، وإذا غلام كأنه قطعة قمر أشبه الناس بأبي محمد (عليه السلام)، فقال: " هذا إمامكم من بعدي وخليفتي عليكم أطيعوه ولا

تتفرقوا من بعدي فتهلكوا في أديانكم، ألا وإنكم لا ترونه من بعد يومكم هذا حتى يتم له عمر... " إلى آخر الحديث (١)، يختمه صلوات الله عليه بالتنويه بظهوره بعد الغيبة الكبرى، يعني بظهوره لإقامة الدولة الإسلامية العالمية.

فإذن من هذا يظهر أيضا التأكيد لما قدمناه سابقا من أنه الفاصل بين الغيبتين ليست قضية الظهور للعيان ثم الغياب، وإنما التعبير بالصغرى والكبرى للنقطة التي بيناها قبل قليل، لأنه طريقة التماس للقواعد الشعبية في الغيبة الصغرى كان هو عبارة عن السفارة والسفراء، بينما في الغيبة الكبرى كان عبارة عن طريق الفقهاء.

وبعد هذا البيان الذي استعرضنا من خلاله جملة من النقاط على ضوء هذا الحديث الشريف، هذه النقاط التي بحثت بعنوان دراية هذا الحديث بنحو إجمالي، ندخل في صلب البحث.

---

(١) - الغيبة للطوسي: ٣٥٧ ح ٣١٩، كمال الدين للصدوق: ٤٣٥ ح ٢.

جدول البحث
أما نفس جدول البحث وخطة البحث:
أول ما يواجهنا في قضية الغيبة الصغرى: أنه ما هو مفهوم الغيبة، أو ما هو مدلول الغيبة؟ وهذا لعله تبين في أثناء البحث أن المقصود بغيبته سلام الله عليه هو عبارة عن غياب هوية لا غياب شخصية.
وفي نفس الوقت هنالك أبحاث تسبق هذا البحث لا نطرقها، باعتبار أن حديثنا جزء أو حلقة من سلسلة أبحاث قدم جملة من هذه الحلقات عدد من العلماء والفضلاء، وهذه الحلقة هي بواقع الأمر جزء متمم في هذه السلسلة.
هنالك أبحاث سابقة على هذا البحث: من قبيل مسألة ولادته (عليه السلام)، والمفروض أن الحديث عن غيبته بعد أن تحرز ولادته سلام الله عليه وأن يحرز وجوده (عليه السلام)، هاتان نقطتان مهمتان يحرز أنه ولد ويحرز أنه غائب وليس بميت، هذه نقطة ثانية.
والنقطة الثالثة هو إحراز أن له سلام الله عليه سفراء في هذه الغيبة.
وهنالك أسئلة أخرى ترتبط في موضوع أصل الغيبة وفي أصل إمامته سلام الله عليه أنه كيف يتولى الإمامة في سن مبكر، هذه

المسألة، أيضا تكفلت بها بحسب الفرض أبحاث سابقة هي خارجة عن محل بحثنا.
وفي مسألة أصل إمامته سلام الله عليه، يعني بكونه الإمام الثاني عشر من آل محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) من أهل البيت صلوات الله عليهم بدءا بأمير
المؤمنين (عليه السلام) وختما بصاحب الأمر (عليه السلام) بحث.
في أصل كونه الإمام الثاني عشر بحث.
في توليه الإمامة في سن مبكر بحث.
في مسألة ولادته بحث.
في مسألة استمرار وجوده حتى يغيب لا أنه مات بحث.
في مسألة أنه غاب واستسفر سفراء أربعة في طي غيبته (عليه السلام) بحث.
الأبحاث السابقة فيما يتعلق بإمامته، بمبكرية إمامته، بولادته،
بوجوده (عليه السلام) واستمراره رابعا، وقضية طول عمره أيضا بحث خامس.
أنه كيف يعمر هذه الفترة الطويلة هذا أيضا بحث آخر.
كل هذه الأبحاث كما لا يخفى تفترض في حديثنا الآن، تفترض
بعنوان أصول موضوعية مسلمة، لا نتكلم عنها ونفترضها أمور مسلمة،
فمحط ركابنا في واقع الأمر هو عبارة عن نفس الغيبة الصغرى في
مفهومها، وكذلك في سفراء الإمام سلام الله عليه في هذه الغيبة،
وطريقة تماس الإمام سلام الله عليه بقواعده الشعبية.
كما تعلمون أن هنالك بحثا آخر، هذا البحث ربما لا يتسع له المجال:
أن الإمام سلام الله عليه في هذه الفترة الطويلة كيف تستفيد الأمة

من وجوده (عليه السلام)، وهذا البحث باعتبار أنه غير مختص بالغيبة الصغرى، إنما هو وارد على التقديرين، على تقدير الغيبة الكبرى وتقدير الغيبة الصغرى.

هذه جملة مباحث لها مجالات أخرى، إنما الكلام في أصل الغيبة الصغرى.

الغيبة الصغرى
تمهيد الأئمة عليهم السلام لغيبة الإمام عليه السلام
من خلال ما تقدم عرفنا أن الأئمة صلوات الله عليهم هيأوا الأذهان، أذهان الأمة لتقبل قضية غيبة الإمام سلام الله عليه، أنكم يا معشر الناس ستواجهون إماما يغيب عن أنظاركم، يعني أنكم من عهد أمير المؤمنين صلوات الله وسلامه عليه إلى عهد الإمام العسكري سلام الله عليه إمامكم بين ظهرانيكم وعلى رؤوسكم بمرأى ومسمع منكم، أما أنكم ستواجهون إماما هو الإمام الثاني عشر سلام لله عليه، وهو إمام مغيب عن الأنظار، باعتبار أن هذه التجربة تجربة جديدة، فاجتمعت في الإمام المهدي سلام الله عليه عدة خصوصيات في واقع الأمر، وخصوصيات في غاية الخطر، يعني فضلا عن كونه الإمام الثاني عشر.
المسألة الأولى: مسألة مبكرية إمامته (عليه السلام)، وقد يقال إنها ليست بالتجربة الجديدة، لأن المبكرية في الإمامة سبقه فيها جداه الجواد والهادي سلام لله عليهما، الإمام الجواد تولى الإمامة وسنه قرابة ثمان سنوات أو سبع سنوات، والإمام الهادي أيضا كذلك تولى الإمامة وسنه

قرابة ست سنوات، فربما يقال إن هذه المسألة أصبحت مأنوسة ومألوفة للأمة، وكأن العناية الإلهية دربت الأمة على قبول الإمامة المبكرة تدريجيا، فبدأت بإمامة الجواد (عليه السلام) في ما يقارب ثماني سنوات، ثم الهادي (عليه السلام) في قرابة الست سنوات، ثم الإمام المهدي (عليه السلام) في الخمس سنوات.

المسألة الثانية: مسألة غيبته (عليه السلام)، إمام غائب بأي معنى؟ وكيف؟ ولماذا؟.

والمسألة الثالثة: التي هي في غاية الخطر أيضا: مسألة ظهوره صلوات الله وسلامه عليه، وإقامة الدولة الإسلامية العالمية التي يملأ الله به الأرض قسطا وعدلا بعد أن تملأ ظلما وجورا.

هذه ملامح ثلاثة في غاية الخطر في شخصية صاحب الأمر صلوات الله عليه، ومن جملة هذه الملامح نفس موضوع الغيبة: الغيبة تجربة جديدة للأمة، ربما الأمة جربت غيبة قصيرة تمتد مثلا أيام أو شهر لبعض السابقين صلوات الله عليهم، ولكن غيبة في تمام فترة الإمام إلى أن يأذن الله في الفرج بهذا الطول وبهذا الشكل، هكذا تجربة لم تمر بها الأمة الإسلامية سابقا، فالأمة بحاجة إلى أن تألف هذه التجربة، بحاجة إلى أن تقنع بهذه التجربة، بحاجة إلى أن تسمع بها وتكون مأنوسة لها حتى لا تفاجأ بقضية غيبته، فلهذا كان الأئمة الأطهار سلام الله عليهم (١)، بل حتى في أحاديث

---

(١) راجع كتاب الإمام المهدي (عليه السلام) للسيد صدر الدين الصدر.

رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) في ما يرويه علماء الفريقين (١) في قضية صاحب
الأمر (عليه السلام)، هنالك لمحات كثيرة في قضية غيبته (عليه السلام).
الهدف من كل هذا الحشد من أحاديث الإشارة إلى غيبته هو
تعبئة النفسية العامة أو الذهنية العامة لتقبل فكرة الإمام الغائب سلام
الله عليه، وأنه حقيقة ستقع، لا أنها مسألة في عالم الافتراض فقط.
ثم الأئمة سلام الله عليهم في نفس الوقت أيضا أشاروا إلى بعض
خصوصيات هذه الغيبة، مثلا الإمام العسكري سلام الله عليه في
حديث من الأحاديث يقول: " عثمان بن سعيد العمري - يخاطب
رجلا - وكيلي وأن ابنه محمدا وكيل ابني مهديكم " (٢)، حتى قضية
السفير الثاني للإمام المهدي سلام الله عليه كان أيضا يتحدث عنه
الإمام العسكري (عليه السلام)، فلا يسعنا المجال الآن للإفاضة في هذه
الجزئيات والخصوصيات، لكن من حيث المبدأ الأئمة (عليهم السلام) كانوا
يتدخلون في هذه المسألة
ويخططون لها ويحاولون تحضير الذهنية
العامة لفكرة الغيبة الصغرى، وحتى فكرة الغيبة الكبرى، لئلا تفاجأ
الأمة.
كما أن الغيبة الصغرى في نفسها عملية تهيئة وإعداد للأمة
الإسلامية للتفاعل والاندماج مع الغيبة الكبرى، يعني كما أن الأئمة
هيأوا الناس لغيبة صغرى، كذلك هيأوهم للغيبة الكبرى، والغيبة

---

(١) - راجع كتاب الإمام المهدي (عليه السلام) في كتب أهل السنة.
(٢) - الغيبة للطوسي: ٣٥٦ ح ٣١٧.

الصغرى هي في نفسها وضعيا تهيئ الأمة للغيبة الكبرى، ولهذا بدأت العملية بالتدريج.
لاحظوا أن الأمة لم تبدأ فيها بالغيبة الكبرى، إنما بدأت بالغيبة الصغرى، يعني ما بدأ الإمام يغيب عن الناس بلا سفراء، إنما بدأ غيبته مع السفراء، لأن الغيبة مع السفراء لا شك أنها أقرب إلى أذهان الناس وأشد أنسا لأذهان الناس، لا سيما مع ما سيأتي من أن هؤلاء السفراء أولهم نص عليه الإمام الحاضر سابقا، وهو الإمام العسكري سلام الله عليه، وفي نفس الوقت هذا السفير نص على من بعده.
فالإمام العسكري (عليه السلام) نص على سفارة عثمان بن سعيد، وحضر من حضر من شيعة الإمام من علماء الأمة الإسلامية وشهدوا هذا النص من الإمام سلام الله عليه، ثم الخواص الذين حضروا وشهدوا، سمعوا الإمام المهدي صلوات الله عليه يقر نيابة وسفارة عثمان بن سعيد، فحصل اطمئنان حسي بسفارة عثمان بن سعيد، ثم عثمان بن سعيد الذي قيل في حقه، " اسمعوا له وأطيعوا " ومما يسمع له ويطاع فيه هو نصه على من بعده، ومما قال في من بعده أيضا: اسمعوا له وأطيعوا، وهو ابنه محمد بن عثمان، ومحمد بن عثمان أيضا قال: اسمعوا له وأطيعوا لمن يليه وهو الحسين بن روح، والحسين بن روح كذلك.
فإذن هنالك نص بهذه الطريقة بمحضر من علماء الأمة.
فالقضية كانت قضية حسية، الذين شهدوا الإمام سلام الله عليه افرض أنهم الخواص، وكذلك مسألة النص على السفير، وأن السفير –

هذه نقطة أخرى – حينما كان يواجه الأمة كان يواجه الأمة بتوقيعات الإمام سلام الله عليه، وما كان يأتي بشئ من عند نفسه أو من اجتهاداته الشخصية مثلا، إنما كان يأتي للأمة بكلام الإمام سلام الله عليه، بمكتوبات الإمام سلام الله عليه، بتوقيعاته.

التوقيع والناحية المقدسة
اصطلاح التوقيع كما تعلمون من جملة اصطلاحات هذا العالم، عالم الغيبة، المقصود بالتوقيع في هذا المقام يعني الكتاب الموقع يعبر عنه بأنه توقيع، من باب تسمية الكتاب بأهم ما فيه أو أبرز ما فيه أو ما يختم به وهو التوقيع تسمية الشئ بخاتمته، فيعبر عنه بأنه توقيع، والمقصود ليس خصوص الامضاء للإمام سلام الله عليه، إنما المقصود هو الكتاب.
الكتب الصادرة والرسائل الصادرة من الإمام سلام الله عليه كان يعبر عنها بأنها توقيعات الناحية المقدسة، والناحية المقدسة أيضا فيه إشارة أو قولوا اصطلاح يراد به خصوص الحضرة المقدسة لصاحب الأمر صلوات الله وسلامه عليه باعتبار ظروف التقية.
وهذا باب من الأبواب الملفتة للنظر: أن الإمام سلام الله عليه نادرا ما كان يسمى باسمه، بل ورد النهي عن التسمية وأنه إذا سمي عرف وإذا عرف مثلا دل على مكانه إلى آخره، ففي هذا المورد هنالك تكتم باعتبار ظروف التقية، فلهذا الإمام كان يعبر عنه بالناحية المقدسة ويعبر عنه بالسيد، قال لي السيد وكتبت للسيد، ويعبر عنه بالعالم،

ولفظة العالم أطلقت على بعض الأئمة سلام الله عليهم السابقين أيضا كموسى بن جعفر (عليه السلام)، ولكن أيضا ورد إطلاقها على الإمام المهدي سلام الله عليه.
فالسيد، والعالم، والناحية المقدسة، والغريم أيضا مما كان يعبر عنه (عليه السلام).
وعبر عنه (عليه السلام) بالصاحب وصاحب الدار وصاحب العصر وولي العصر وولي الأمر.
فالناحية المقدسة المقصود بها الإمام سلام الله عليه، والتوقيعات يعني الرسائل والكتب الصادرة من الإمام (عليه السلام).
وهذه الكتب الصادرة كانت بخطه (عليه السلام)، لم تكن بخط غيره، ولم تكن مطبوعة مثلا حسب الفرض، وفي ذلك الزمن لم تكن هنالك أدوات طبع بالنحو الموجود اليوم، المهم أنه لم تكن بخط غيره، إنما كانت بخط نفسه (عليه السلام) وموقعة بتوقيعه.
وهذا الموضوع في غاية الأهمية في العملية التوثيقية، لأن هذا الخط خط مشهود لخواص الأعلام والعلماء الذين عاصروا الإمام العسكري سلام الله عليه والذين تعرفوا على الإمام المهدي (عليه السلام)، لأنه سيأتينا إن شاء الله أن الإمام المنتظر عجل الله تعالى فرجه لم يكتم ولم يحجب عن تمام الناس، إنما حرص الإمام العسكري سلام الله عليه على عرض ولده الإمام المهدي (عليه السلام) على أعداد كبيرة من الناس من جهة، وإعلام أعداد أخرى وإن لم يروه، وهاتان نقطتان في غاية الأهمية.

عدم السرية في مبدأ القيادة الإسلامية:
هاتان النقطتان ترتبطان بقضية عدم السرية في مبدأ القيادة الإسلامية وفي الثقافة الإسلامية، أو في النظام السياسي الإسلامي، السرية ربما تكون في العمل، أما السرية في القيادة لا وجود لها في الإسلام، ولهذا نجد أن الأئمة صلوات الله عليهم يصرون على مختلف مراحلهم ورغم ظروف التقية التي كانوا يمرون بها كانوا يحرصون سلام الله عليهم على قضية أن ينص السابق على اللاحق.
نعم ربما كان هذا النص في ضمن إطار تقية في ضمن الخواص، أما أن تكون سرية بتمام المعنى فهذا في واقع الأمر ليس من شؤون الإمامة، فالحجة بوجه عام نبوة أو إمامة، فإصرار الأئمة سلام الله عليهم على قضية أن يشخص السابق منهم اللاحق ولو في أحلك الفترات وأدق الظروف، هذا الواقع متفرع على قضية علنية القيادة قدر الإمكان، لما في سرية القيادة من مشكلات مبسوطة في محلها له بحث علمي آخر في باب النظام السياسي الإسلامي، أو متبنيات النظام السياسي الإسلامي.
لكن في حدود هذا المعنى الإمام العسكري سلام الله عليه رغم شدة الظروف الخانقة الإرهابية التي كان يمر بها، مع ذلك أول إجراء اتخذه (عليه السلام) رغم أن أمر الإمام المهدي (عليه السلام) من حمله إلى ولادته إلى نشأته مبني على التكتم كما تعلمون، حمله كتم بقضية كرامة كما كتم حمل أم موسى بموسى (عليه السلام) بالقصة المعروفة، وهكذا ولادته (عليه السلام) أيضا
ما كانت بشكل علني، إنما كانت بتمام الواقع والحيطة والحذر، كما

نقرأ في قصة السيدة حكيمة رضوان الله عليها بنت الإمام الجواد (عليهما السلام) التي حضرت ولادة الإمام المهدي سلام الله عليه، والتي رواها بطريق معتبر شيخنا الصدوق أعلى الله مقامه الشريف في كتاب إكمال الدين وإتمام النعمة (١)، حكيمة حضرت وكان الموضوع بتمام الكتمان.

---

(١) - كمال الدين: ٤٢٤ ح ١.

الاجراءات التي اتخذها الإمام العسكري (عليه السلام)
لإثبات ولادة الإمام المهدي (عليه السلام)
الشئ الذي أريد أن أقوله رغم هذا الكتمان أن الإمام العسكري سلام الله عليه كان عنده في جانب آخر موازنة بالعملية، كان حريصا على قضية إثبات ولادته ووجوده، فاتخذ جملة اجراءات:
إكثار العقائق عن الإمام المهدي (عليه السلام):
من أهم هذه الاجراءات - هذا الموضوع مهم بارتباطه في موضوع الغيبة الصغرى، لأننا لما نتكلم عن موضوع الغيبة لا بد أن نعرف أن هذا الغائب صلوات الله وسلامه عليه مولود موجود - بل أول إجراء اتخذه الإمام العسكري سلام الله عليه فيما تفيد الروايات: أنه أكثر من العقائق عن الإمام المهدي (عليه السلام)، وهذه من خواصه أنه لم يعق عن مولود على الإطلاق كما عق عن الإمام صاحب الأمر (عليه السلام)، حتى ورد في رواياتنا: أنه عق عنه ثلاثمائة عقيقة (١)، بل أمر الإمام العسكري (عليه السلام)

---

(١) - راجع: كتاب الإمام المهدي (عليه السلام) من المهد إلى اللحد.

عثمان بن سعيد أن يشتري كذا ألف رطل – الرطل قرابة ثلث كيلو غرام – من اللحم ومما شاكل ويوزعه على الفقراء (١)، والشئ الملفت للنظر أن الإمام نوع وعدد الأماكن، مثلا كتب إلى خواصه في قم أن يعقوا (٢) وأن يقولوا للناس أن هذه العقيقة بمناسبة ولادة المولود الجديد للإمام العسكري (عليه السلام) وأنه محمد، وهكذا مثلا كتب إلى خواصه في بغداد وفي سامراء.

هذه عناية من الإمام سلام الله عليه، كثرة العقائق وإخبار الناس بمناسبة هذه العقائق ومن ذبحت عنه هذه العقيقة مثلا، هذا كله إجراء أول أراد منه الإمام سلام الله عليه عملية إعلامية بأن هذا الإمام الثاني عشر المنتظر صلوات الله وسلامه عليه قد ولد وقد تشرفت البشرية والعالم بإشراق نور وجهه المقدس.

من رأى الإمام المهدي (عليه السلام):

الاجراء الثاني الذي حرص الإمام (عليه السلام) عليه: هو أنه كان يحضر مجاميع من خواصه وشيعته وكان يعرفهم على ولده الإمام المهدي سلام الله عليه، وهذا ظاهر من جملة روايات:

مثلا في إكمال الدين للشيخ الصدوق أعلى الله مقامه عن أبي غانم الخادم: أن العسكري (عليه السلام) أخرج ولده محمدا (عليه السلام) في الثالث من مولده

وعرضه على أصحابه قائلا: " هذا صاحبكم من بعدي وخليفتي عليكم

---

(١) – كمال الدين: ٤٣١ ح ٦.

(٢) – راجع: كتاب الإمام المهدي (عليه السلام) من المهد إلى اللحد.

وهو القائم الذي تمتد إليه الأعناق بالانتظار، فإذا امتلأت الأرض ظلما وجورا خرج فيملأها قسطا وعدلا " (١).
وهكذا الرواية السابقة التي رواها شيخ الطائفة أعلى الله مقامه في الغيبة والتي قرأتها على مسامعكم: أن الإمام أطلع أربعين - تقريبا - من خواص أصحابه على ولده سلام الله عليه.
وهنالك أشخاص آخرون أيضا لا بعنوان مجاميع، بل بعنوان أشخاص منفردين أيضا أطلعهم الإمام سلام الله عليه.
هذا غير اطلاع من في البيت بمناسبة قضية الولادة، مثل نسيم الخادمة وحكيمة وأم أبي محمد العسكري، كما جاء في الرواية التي يرويها الشيخ الصدوق أعلى الله مقامه، رواية جليلة ومهمة جدا:
دخل أحدهم على السيدة حكيمة بنت الإمام الجواد (عليهما السلام) وسألها
عما تأتم به من الحجج؟ فعدت الأئمة سلام الله عليهم إلى أن وصلت إلى الإمام العسكري (عليه السلام) فقالت بعده: والحجة بن الحسن بن علي، فقال لها السائل: سيدتي أتقولين ذلك عن خبر أو معاينة؟ - يعني هذا الحجة بن الحسن رأيتيه أم سمعتي به؟ - قالت: بل هي معاينة، قلت فلمن يفزع الناس اليوم والحال أن الناس لم يعاينوه؟ قالت: ارجعوا إلى أم أبي محمد - يعني أم الإمام العسكري سلام الله عليه، لاحظوا هذه القضية السائل يقول - قلت لها: بمن اقتدى الإمام العسكري (عليه السلام) في وصيته لأم أبي محمد إذا كان الإمام هو ابنه محمد الحجة ابن الحسن

---

(١) - كمال الدين: ٤٣١ ح ٨.

سلام الله عليه.
يعني كان الإمام سلام الله عليه للتغطية على ولده وللحفاظ على ولده في بعض المجالات كان يحيل في الظاهر بعض القضايا على أم أبي محمد يعني أم الإمام العسكري سلام الله عليه، كيف كان يحيل عليها؟ لاحظوا الجواب في غاية الأهمية:
قالت (عليها السلام): اقتدي في ذلك بجدي الحسين بن علي شهيد الطف صلوات الله وسلامه عليه حيث أوصى في الظاهر بأخته العقيلة زينب (عليها السلام)، وفي الواقع أن الإمامة لولده زين العابدين (عليه السلام)، وذلك حفاظا على ولده زين العابدين، فكان ما يخرج من زينب من علم ربما نسب لزينب (عليها السلام)، وهو في الواقع لعلي بن الحسين (عليهما السلام) (١).
كانت ظروف تقية، بحيث أن الراوي إذا روى كان يخاف أن يقول حدثني علي أو روى فلان عن فلان عن علي، كثيرا ما كان يقول مثلا: حدثني أبو زينب، أو روى فلان عن فلان عن أبي زينب، ويعني بأبي زينب أمير المؤمنين سلام الله عليه.
فالخلاصة، أم أبي محمد العسكري رأت الإمام، نسيم الخادمة، حكيمة، كذلك أحمد بن إسحاق الأشعري في قضية طويلة أيضا يرويها الشيخ الصدوق (٢)، ويعقوب بن منقوش، مضافا للعدد الذي ذكرته.

---

(١) - كمال الدين: ٥٠١ ح ٢٧، الغيبة للطوسي: ٢٣٠ ح ١٩٦.
(٢) - كمال الدين: ٤٥٤ ح ٢١.

فالإجراء الأول قضية الإعلام والعقائق، والاجراء الثاني قضية عرضه على الناس، هذا في جانب.
فإذن الإمام سلام الله عليه في واقع الأمر غيبته كانت غيبة بعد ثبوت مولد، بعد ثبوت وجود، وأن الإمام سلام الله عليه كان يتعامل مع تلك القواعد عن طريق توقيعاته المقدسة التي كان ينقلها أولئك السفراء.

تحديد مبدأ الغيبة الصغرى
هنالك نقطة في تحديد مبدأ الغيبة الصغرى، هناك نظريات ثلاثة في مبدأ الغيبة الصغرى، ولعل هذا البحث بحث بكر:
النظرية الأولى:
الغيبة الصغرى إنما بدأت بمولده (عليه السلام)، حيث كان مولده مبنيا على الكتمان، فكان الإمام سلام الله عليه غائبا منذ ذلك الحين وإلى أن يظهر للعيان بشكل علني عام.
نوقش في هذه النظرية: بأن الإمام من مولده إلى وفاة أبيه الإمام العسكري سلام الله عليه شهيدا، في هذه الفترة الإمامة لم تكن له، وهذا خارج عن موضوع الغيبة التي نتحدث عنها، الحديث عن غيبته في فترة إمامته.
لكن هذا الأمر سهل، لأن الفرض من الغيبة مطلق الغيبة، سواء غيبته في عصر إمامة أبيه سلام الله أو غيبته في عصر إمامته، الغرض ملفق من هذا وذاك بحيث المجموع يكون هذه الفترة من مولده (عليه السلام) إلى هذا المبدأ من مولده (عليه السلام) إلى وفاة آخر نائب من النواب الأربعة وهو أبو الحسن علي بن محمد السمري رحمه الله سنة ثلاثمائة وتسعة

وعشرين، فإذا بدأنا سنة مائتين وخمس وخمسين، سنة مولد الإمام سلام الله عليه، إلى سنة ثلاثمائة وتسعة وعشرين، يعني قرابة أربعة وسبعين سنة، هذا التحديد طبق النظرية التي ذهب إليها الشيخ المفيد رحمه الله.

والمناقشة في هذه النظرية لا من هذه الجهة التي ذكرها البعض، بل المناقشة من جهة أخرى: أنه ظاهر جملة من الروايات أن الإمام سلام الله عليه لم يكن غائبا بالمعنى المتعارف منذ ولادته، نعم كان محفوظا إلا عن الخاصة، وكان هناك تكتم على اللقاء به على الاجمال بالنحو الذي بيناه سابقا، كانت هناك محدودية في قضية رؤيته، أما غيبة بتمام المعنى وبالمعنى الذي نفهمه بحسب الظاهر من مولده لم تشرع، والدليل ما ذكرناه من جملة من الروايات: أن الإمام سلام الله عليه كان يأتي إليه مجاميع من أصحابه فيطلعهم عليه، فالغيبة إذن لم تبدأ من حين مولده.

النظرية الثانية:

الغيبة بدأت من حيث شهادة والده الإمام العسكري سلام الله عليه، وبالضبط بعد صلاته على جنازة الإمام العسكري (عليه السلام) في القضية التي رواها أبو الأديان البصري (١).

وهذه النظرية يمكن الأخذ بها لولا نظرية أخرى وهي:

---

(١) - كمال الدين: ٤٧٥.

النظرية الثالثة:
نظرية متوسطة في الواقع، وهي نظرية تقول طبق النص الذي مر بنا عن غيبة الشيخ الطوسي أعلى الله مقامه، نظرية تقول بأن غيبته بدأت بعد مولده (عليه السلام) بفترة، بدأت الغيبة وأعلن عن غيبته (عليه السلام) نفس والده الإمام العسكري (عليه السلام).
وفي هذا عناية بليغة في واقع الأمر، لأن الإمام (عليه السلام) إمام حاضر، فحينما ينبئ عن غيبة ابنه الإمام المهدي سلام الله عليه يكون سكون النفوس إلى ذلك أكثر، بعكس ما لو الإمام سلام الله عليه يغيب فجأة بدون سبق إنذار، فالإمام العسكري (عليه السلام) حينما عرضه على من حضر عنده من شيعته قال: " ألا وإنكم لا ترونه من بعد يومكم هذا حتى يتم له عمر... " (١) إلى أن يذكر مسألة ظهوره في آخر الزمان.
أنا الذي أفهمه والله العالم: أن مبدأ الغيبة الصغرى من هذا الإعلام بالضبط، وهذا الإعلام أي سنة يمكن تحديده؟ العبارة تقول هكذا:
" وإذا غلام كأنه قطعة قمر أشبه الناس بأبي محمد العسكري " يظهر، أن عبارة غلام تطلق على الصبي المميز، بينما الإمام سلام الله عليه كان عمره قرابة الخمس سنوات لما استشهد والده الإمام العسكري (عليه السلام)، وابن خمس سنوات لا يعبر عنه غلام، هذا الواقع هو إثارة تساؤل؟
هذا النص أجيب عليه بأحد جوابين:
أنه أحيانا يحدث أن يكون نمو فوق الطبيعي لبعض الأطفال، هذا

---

(١) - البحار ٥١: ٣٤٧ ح ١.

ملحوظ، فابن خمس سنوات ربما يبدوا بعينك وكأنه ابن عشر سنوات مثلا، هذا جواب.

الجواب الآخر، وهو الجواب الأوجه، وبه رواية في خصوص الإمام سلام الله عليه، كما ورد في خصوص الزهراء سلام الله عليها، رواية في قضية نموها، كذلك في نمو الإمام المهدي سلام الله عليه، وهذا من وجوه الشبه بينه وبين جدته الصديقة فاطمة (عليها السلام)، يقول: أنه (عليه السلام) ينمو في الشهر ما ينمو غيره في السنة في دور صباه (١)، يعني في هذه القضية النمو غير طبيعي في دور الصبا سيكون لهذا الصبي المقدس صلوات الله عليه: أنه ينمو في دور صباه في الشهر ما ينمو غيره في السنة، فلا يبعد أن يكون (عليه السلام) هو ابن أربع سنوات وشهور أو خمس سنوات يبدو – لا سيما وأن هذه النسمة ليست نسمة عادية، نسمة مقدسة، أعدتها عناية الله عز وجل لليوم العظيم، ادخرتها لذلك اليوم – فلا غرابة أن يعد الإمام بهذا الإعداد.

فإذن كلمة غلام نفسرها بعد التحفظات في كلمة صبي، ففي هذا المورد إطلاق الصبي على الإمام يتناسب مع كونه قد قضى سنين من حياة أبيه سلام الله عليه.

ولهذا، الأقرب أن الإمام سلام الله عليه مثلا أعلن عن ذلك إما في عام تسعة وخمسين بعد المائتين حيث يكون عمر الإمام سلام الله عليه قرابة أربع سنوات، فيمكن القول أن الإمام سلام الله عليه الذي

---

(١) – نحوه كمال الدين: ٤٢٩.

ولد في منتصف شعبان سنة مائتين وخمس وخمسين وأن الإمام العسكري سلام الله عليه أعلن عن غيبته في حدود قرابة منتصف شعبان سنة مائتين وتسع وخمسين، وأن الإمام في هذه الأربع سنوات من سنة خمس وخمسين منتصف شعبان إلى منتصف شعبان سنة تسعة وخمسين بعد المائتين، هذه الفترة لم تكن فترة غيبة، لأن الإعلان صدر بحسب التقدير المشار إليه في حدود سنة مائتين وتسع وخمسين في منتصف شعبان، فتكون غيبته (عليه السلام) قد بدأت منتصف شعبان سنة مائتين وتسعة وخمسين، يعني قبل شهادة الإمام العسكري سلام الله عليه بشهور، واستمرت من منتصف شعبان سنة مائتين وتسعة وخمسين إلى سنة ثلاثمائة وتسعة وعشرين حيث وفاة آخر نائب من نواب الغيبة الصغرى، وفي منتصف شعبان أيضا كانت وفاة آخر نائب من النواب، وهو أبو الحسن علي بن محمد السمري، فإذا حسبنا في هذا المورد من سنة مائتين وتسعة وخمسين منتصف شعبان إلى منتصف شعبان سنة ثلاثمائة وتسعة وعشرين تكون الحصيلة قرابة سبعين سنة، وهذا ما يوافق بعض التحقيقات التي قالت بأن فترة غيبته الصغرى قرابة سبعين سنة.

هذه نقطة كان ينبغي الإشارة إليها.

النواب الأربعة
في نفس الوقت أيضا هنالك نقطة أخرى ينبغي الإشارة إليها، وهي مسألة النواب الأربعة للإمام سلام الله عليه.
قلنا: إن الإمام (عليه السلام) في فترة الغيبة الصغرى كان وثيق الصلة بقواعده الشعبية، لكن بطريقة تماس تتناسب مع غيبته (عليه السلام)، وهذه الطريقة هي عبارة عن طريقة السفراء.
مسألة السفراء من المسائل المهمة في واقع الأمر، يعني كيف نعرف أن هذا الشخص سفير عن الإمام سلام الله عليه، لا سيما وأننا نعلم أن هنالك من ادعى السفارة كذبا وزورا، وهذا باب واسع فتحه جملة من العلماء، عقد مثلا الشيخ الطوسي (١) أعلى الله مقامه أو الشيخ الصدوق (٢) أو العلامة المجلسي (٣) أعلى الله مقامهم فصولا في أسماء الذين ادعوا السفارة كذبا وزورا، والحال يقتضي أن الوضع والكذب وارد، باعتبار أن مقام السفارة عن الإمام مقام مقدس وعظيم

---

(١) - الغيبة للطوسي: ٣٩٧.
(٢) - كمال الدين: ٤٨٥.
(٣) - البحار ٥١: ٣٦٧.

أعظم من مقام المرجعية في زماننا، فلا يبعد أن يتنافس عليه الكثير وأن يدعيه الكثير، فلا بد من مثبتات في قضية السفارة حتى نستطيع أن نعرف الصادق من الكاذب.

وهذه المسألة في غاية الأهمية نواجهها في مقام بحث هذا الموضوع.

من ادعى السفارة كذبا:

من السفراء الذين ادعوا السفارة كذبا وزورا:

١ – الهلالي أحمد بن هلال العبرتائي، (منطقة من بغداد والكوت).

٢ – البلالي محمد بن علي بن بلال.

٣ – النميري محمد بن نصير النميري.

٤ – الحسين بن منصور الحلاج الصوفي المعروف، الذي قتله الملك العباسي.

٥ – أبو محمد الحسن السريعي أو الشريعي.

٦ – محمد بن علي بن أبي العزاقر الشلمغاني المعروف، الذي كان من أعلام الشيعة وألف كتبا في التشيع، ولكنه لمنافسة جرت بينه وبين الحسين بن روح النوبختي أعلى الله مقامه الشريف النائب الثالث للإمام المهدي سلام الله عليه، خرج عن طوره وأخذ يدعي دعاوى غير صحيحة، وحكم الإمام سلام الله عليه في توقيع من توقيعاته المقدسة بضلاله وانحرافه، وأعلن عن ذلك أيضا سفيره الحسين بن روح النوبختي.

ويروي بعض العلماء رواية، هذه الرواية تقول: سأل رجل الحسين

بن روح أعلى الله مقامه الشريف فقال له: ما تقول في كتب محمد بن علي الشلمغاني؟
ومحمد بن علي الشلمغاني لم يكن رجلا من السوقة أو رجلا من العاديين، إنما كان عالما من علماء الطائفة، كان وجها من وجوه المذهب، وكان قد صدرت عنه تصريحات ضالة وانحرافات، فوقف منه الإمام سلام الله عليه ونوابه موقفا صارما، وكان كثير التأليف، كانت كتبه تملأ المكتبات الإسلامية، فكانت مشكلة للشيعة في ذلك الزمن، رجل يملك هكذا قدسية وهكذا علمية وهكذا فضيلة ينحرف بهذا الشكل، يصعب على كثير من الأذهان أن يتقبل هذه الفكرة، فلهذا سألوا الحسين بن روح النوبختي عن هذا الموضوع أنه يسأل الإمام سلام الله عليه.
فخرج التوقيع بتحريم قراءة كتبه وأنها كتب ضلال، حينئذ سألوه: ما نصنع وبيوتنا مليئة من كتبه؟
يعني ما من بيت إلا وفيه كتاب من كتب ابن أبي عزاقر.
قال: أقول لكم كما قال الإمام العسكري سلام الله عليه في بني فضال.
وبنو فضال بيت من البيوت العلمية الشيعية، ولكن هؤلاء ابتلوا بأنهم صاروا واقفية من الشيعة المنحرفين.
" خذوا بما رووا وذروا ما رأوا " (١).

---

(١) - الغيبة للطوسي: ٣٨٩ ح ٣٥٥.

رواياتنا الموجودة في كتبهم خذوها، لا سيما وأنها كانت أيام استقامتهم، وأما آراؤهم فلا تأخذوا بها، خذوا بما رووا وذروا ما رأوا، فكان في الواقع أزمة واجهتها الطائفة، أزمة من ادعى السفارة كذبا، ومنهم محمد بن علي بن أبي عزاقر الشلمغاني.

لمحة أخلاقية:

وبالمناسبة وفي الواقع هذه لمحة أخلاقية رغبت أن أمر بها:

كم الفرق عظيم بين محمد بن علي الشلمغاني بن أبي عزاقر، هذا الرجل العالم الضال، وبين أبي سهل النوبختي، وجعفر بن أحمد بن متيل، أذكر مثالين كدرس أخلاقي لنا:

الرواية التي يرويها شيخ الطائفة أعلى الله مقامه الشريف في الغيبة عن جعفر بن أحمد بن متيل – من وجوه الشيعة ومن أعلامهم – يقول: كنت عند رأس محمد بن عثمان بن سعيد – يعني النائب الثاني للإمام المهدي سلام الله عليه في الغيبة الصغرى – وكان أبو القاسم الحسين بن روح النوبختي عند رجليه، وكان جعفر بن أحمد أقرب الناس لمحمد بن عثمان، وكان مستودع سره، وكان الناس إذا جلسوا يرشحون هذا الرجل – جعفر بن أحمد – أن يكون هو النائب الثالث. يعني كان السائد في الأجواء حتى في أجواء الحوزة آنذاك أن النائب الثالث هو جعفر بن أحمد بن متيل، رجل له هكذا مقام علمي وله هكذا مركز في جو الحوزة العلمية ويقول: أنا كنت عند رأس محمد ابن عثمان وكان أبو القاسم الحسين بن روح النوبختي عند رجليه. وإذا به في آخر ساعة من ساعات حياته يلتفت ويقول: يا جعفر

أمرت أن أوصي من بعدي للحسين بن روح لأبي القاسم.
يقول شيخ الطائفة: فقام جعفر بكل أدب وامتثال وأخذ بيدي الحسين بن روح وأجلسه عند رأس محمد بن عثمان وجلس هو عند رجليه (١).
واقعا هذا يحتاج إلى جهاد نفس أن يكون إنسان يقال له: إن الحجة في هذا المورد، فيتبع الحجة ولا يتبع الهوى، هذا مثال.
المثال الثاني: أبو سهل النوبختي رضوان الله تعالى عليه:
سئل أبو سهل النوبختي لماذا لم تكن السفارة فيك بعد محمد بن عثمان؟ قال: أنا رجل ألقى الخصوم فربما ضغطتني الحجة فدللت على المكان.
يعني يقول: ربما أنا أتضايق ولا أتحمل أو أعرض للتعذيب، فربما دللت على المكان، والمكان يعني مكان الإمام صلوات الله عليه، فهي قضية خطيرة، أنني رجل ألقى الخصوم أخاصمهم كثيرا، فربما ضغطتني الحجة فدللت على المكان.
وأما أبو القاسم فإنه رجل لو كانت الحجة تحت ذيله وقرض بالمقاريض ما كشف الذيل عنه (٢).
هذا واقع يحتاج إلى جهاد نفس.
وهذا يذكرنا بموقف العبد الصالح علي بن جعفر أعلى الله مقامه

---

(١) - الغيبة للطوسي: ٣٧٠ ح ٣٣٩، وكمال الدين: ٥٠٣ ح ٣٣.
(٢) - الغيبة للطوسي: ٣٩١ ح ٣٥٨.

الذي هو من علماء أهل البيت سلام الله عليهم ابن الإمام الصادق وأخو الإمام موسى بن جعفر (عليهما السلام)، الذي هو أيضا كان يسوي ركاب الإمام الجواد سلام الله عليه على شيبته، فكان يسأل أنه لماذا تصنع به وأنت عم أبيه؟ فقال: كيف لا وقد رأى الله هذا الصبي لهذا الأمر أهلا ولم ير هذه الشيبة لهذا الأمر أهلا (١).

المسألة ليست مسألة مغالبة ومنافسة على مقام، المسألة مسألة دين وحجة ومن اختاره الله عز وجل.

أنا أرغب من خلال هذه القضية أن أوضح أن مدرسة هكذا عرفت بالانضباط والدقة في هذه المسألة، مثل هذه المدرسة، اعتنت عناية بالغة بقضية السفراء الأربعة.

ثبوت نيابة السفراء الأربعة:

كان ثبوت نيابتهم بشهادة الثقات، وهم بالمئات في مجاميع كثيرة فيما تروي الروايات، وطبيعي أن المقام لا يسع لبسط جميع الروايات الواردة في إكمال الدين للصدوق رحمه الله أو غيبة الطوسي أعلى الله مقامه أو غيبة النعماني أعلى الله مقامه أو ما شاكل، ولكن نشير بنحو الجدولة أن هنالك اتفاقا من الرواة والعلماء على شهادة الإمام العسكري (عليه السلام) بوثاقة عثمان بن سعيد العمري رحمه الله، وأن الإمام المهدي سلام الله عليه أقره في منصبه وفي زمن غيبته الصغرى، وكان يقول: " اسمعوا له وأطيعوا " وهذا المعنى في واقع الأمر أخذ يتداول

---

(١) - الكافي ١: ٣٢٢ ح ١٢.

باعتبار النص عليه: " اسمعوا له وأطيعوا "، ثم لا يخفى أن مما يطاع فيه نصه على من بعده، فقد نص على ولده محمد بن عثمان من بعده.
فعثمان بن سعيد نص عليه الإمام العسكري والإمام المهدي (عليهما السلام).
ومحمد بن عثمان نص عليه الإمام العسكري (عليه السلام) في الرواية التي أشرت لها في الأثناء (١)، وفي نفس الوقت نص عليه الإمام المهدي (عليه السلام) (٢) ونص عليه أبوه عثمان وقال في حقه أيضا: اسمعوا له وأطيعوا.
ومحمد بن عثمان هذا أطول نواب الإمام فترة، فكانت نيابته قرابة أربعين سنة، يعني من سنة مائتين وأربع وستين إلى سنة ثلاثمائة وأربعة.
ومن بعده تولي الأمر الحسين بن روح النوبختي أبو القاسم رضوان الله عليه، نص عليه أبو جعفر محمد بن عثمان النائب الثاني، نص عليه في القضية التي سمعتموها قبل قليل وأمثال هذه القضية.
والحسين بن روح نص أيضا على أبي الحسن علي بن محمد السمري، وذلك بأدلة ووثائق ذكرتها هذه المصادر المشار إليها.
ويدعم ذلك أو قل أنه يدل على نيابتهم فضلا عن هذه النصوص إجماع الطائفة الحقة والفرقة المحقة.
فالطريق الأول لإثبات نيابتهم اتفاق ثقات الرواة والعلماء على

---

(١) - الغيبة للطوسي: ٣٥٦ ح ٣١٧.
(٢) - الغيبة للطوسي: ٣٦٢.

نص الإمام المعصوم (عليه السلام) على أولهم، ثم شهادتهم على نص السابق على اللاحق باعتبار أن مما تجب طاعة النائب واجب الطاعة فيه هو تعيينه لمن يأتي من بعده.

الطريق الثاني: نقلهم لخط الإمام سلام الله عليه المعروف، وهذا أيضا أشار إليه الشيخان الصدوق والطوسي رضوان الله عليهما، قالوا في ضمن كلامهم: مما كان يعرف به الناس أن هذا سفير الإمام سلام الله عليه أنه كان الوحيد الذي يتصدى لنقل خط الإمام وتوقيعاته المقدسة.

وخط الإمام معروف، لأن المسألة متصلة بزمن الحضور، فخط الإمام المهدي (عليه السلام) معروف في زمن حياة أبيه الإمام، اطلع شيعته على ولده المهدي وعلى خطه وتوقيعه، فكان خطه وتوقيعه مألوفا للناس، ولهذا عبارة الشيخ الطوسي والشيخ الصدوق أنه كانت تخرج التوقيعات بالخط الذي كان في عهد الإمام العسكري سلام الله عليه، يعني خط الإمام المهدي سلام الله عليه الذي رئي وشوهد في زمن الإمام العسكري (عليه السلام).

فإذن قضية خط الإمام وتوقيع الإمام الذي كان ينفرد به هذا السفير الصادق الأمين، كانت أيضا طريقة من طرق الإثبات.

الطريق الثالث: مضافا إلى ذلك قضية الكرامات الكثيرة التي كانت تجري على أيديهم لإثبات سفارتهم، وبعض الكرامات تجري على أيديهم مباشرة بعنوانهم، وتارة كانت تجري على أيديهم منسوبة إلى موكلهم صلوات الله وسلامه عليه، يعني هو النائب يقول: أخبرني

بذلك سيدي، كما في القضية المعروفة المنقولة عن أبي علي البغدادي، والرواية يرويها الشيخ الصدوق أعلى الله مقامه في إكمال الدين يقول:

جاءت امرأة تسأل عن نائب الإمام سلام الله عليه في الغيبة الصغرى، وكانت أيام نيابة الحسين بن روح النوبختي، فقال لها رجل من قم: النائب هو الحسين بن روح، فدخلت على أبي القاسم، فكانت معها حقيبة أو محفظة فيها جملة من المجوهرات - الذهب وما شاكل ذلك - فدخلت عليه وسألته - أرادت أن ترى منه كرامة حتى تعرف أنه هو النائب حقا - قالت له: أخبرني بما تحت عباءتي؟ قال لها: ألقيه في دجلة ثم اقبلي إلينا لوجهك، يقول أبو علي البغدادي: والله أني شاهد هذه القضية ما زدت فيها ولا نقصت حرفا، فذهبت وألقتها في دجلة ثم رجعت بسرعة إلى الحسين بن روح، وإذا بها تجد محفظتها بين يدي الحسين بن روح وبعدها على قفلها لم تفتح، قال: أو أخبرك بما فيها؟ قالت: وما؟ قال: فيها كذا مجوهرات، كذا حلقات ذهب، كذا سوار، كذا خصوصيات إلى آخره، يقول: فوالله لقد دهشت أنا والمرأة وعجبنا وسألناه مم علمت ذلك؟ قال: دلني على ذلك سيدي صاحب الأمر صلوات الله عليه (١).

هذه قضية، وقضية أخرى ترتبط بمحمد بن شاذان بن نعيم، وإن كانت كرامته تأتي في قضية كرامات الإمام سلام الله عليه، لكن فيها

---

(١) كمال الدين: ٥١٩، الثاقب في المناقب: ٦٠٢ ح ١٤.

جانب يرتبط بالنيابة، وستأتي بعد قليل.
أو قضية الشيخ الصدوق أعلى الله مقامه الشريف مع محمد بن علي الأسود القمي رضوان الله عليه الذي كان من أجلاء الطائفة في قم، هذا الرجل كلفه أو طلب منه علي بن الحسين بن موسى بن بابويه القمي – يعني والد الشيخ الصدوق رحمه الله – قال: أطلب منك أن تلتمس لي الحسين بن روح أبا القاسم أن يطلب من سيدي صاحب الأمر (عليه السلام) أن يرزقني الله ولدا، بالفعل طلب منه هذا المعنى وأبو القاسم نقله لصاحب الأمر سلام الله عليه، يقول بعد ثلاثة أيام واف الجواب، قال إنه (عليه السلام) يقول: إن الله تعالى سيرزقك ولدا ينفع الله به الناس، يقول محمد بن علي: أنا شخصيا أيضا كنت أتمنى الولد، وقلت لأبي القاسم: آتيني بالجواب، يقول: جاءني بالجواب أنه عن الإمام سلام الله عليه أن الله تبارك وتعالى له أمر هو بالغه فيك، يعني أنا كأنه ما استجيبت دعوتي في قضية الولد، لكن علي بن حسين استجيبت دعوته بتوسل الإمام وببركة الإمام – طبعا الذي يرزق هو الله سبحانه وتعالى – بالفعل يقول والد الشيخ الصدوق والشيخ الصدوق نفسه يروي القضية في إكمال الدين وإتمام النعمة: وولد الشيخ الصدوق ببركة دعاء الإمام صاحب الأمر سلام الله عليه وبواسطة أبي القاسم الحسين بن روح النوبختي، يقول الشيخ الصدوق: فكنت إذا حضرت مجلس ابن الوليد أستاذي محمد بن الحسن بن الوليد في قم كانت له حلقة دراسية كبيرة في قم كنت أحضر وأنا صغير، فإذا رأى علمي

وأجوبتي أعجب بها وقال: لا غرو وأنت دعاء صاحب الأمر (١)، يعني لا عجب أن تنبغ وأنت ولدت بفضل دعاء صاحب الأمر صلوات الله وسلامه عليه.

وهناك كرامات كثيرة من هذا القبيل ذكرت، هذه الكرامات كانت تعزز صدق نيابة هؤلاء النواب وسفارتهم عن الإمام سلام الله عليه.

---

(١) - كمال الدين: ٥٠٢ ح ٣١، بتصرف.

طرق إثبات الإمام المهدي (عليه السلام)
وجوده الحسي في الغيبة الصغرى
أما طرق إثبات الإمام سلام الله عليه لوجوده الحسي في زمن الغيبة الصغرى، فهناك طرق عديدة، طبيعي هذا غير بحث أصل ولادته ووجوده (عليه السلام)، وإنما هو بحث في طرق إثبات وجوده الحسي في زمن الغيبة الصغرى في الخصوص.
الطريق الأول: تمكين عدد من الخاصة من مشاهدته عيانا، كما أشرنا له في الرواية الواردة عن الإمام الصادق سلام الله عليه، والتي افتتحنا بها صدر البحث، وإيصاؤهم بتبليغ ما شاهدوه إلى الناس وخاصة القواعد الشعبية الموالين للإمام سلام الله عليه مع إيصائهم بالكتمان.
الطريق الثاني: إقامة المعجز والكرامة، حيث كان الإمام سلام الله عليه تجري المعجزة والكرامة على يديه تارة عن طريق السفراء وتارة عن طريق بعض الخواص الأبدال من الناس، من قبيل محمد بن شاذان بن نعيم رضوان الله عليه، يقول:
اجتمع عندي من الحقوق الشرعية خمسمائة درهم إلا عشرين

درهما، فاستحييت أن أبعث بها للإمام (عليه السلام) دون أن أتمها، فأتممتها بخمسمائة وأوصلتها إلى الإمام سلام الله عليه – الظاهر عن طريق نائبه، لأن القضية في زمن الغيبة، والمفروض اللقاء المباشر في مثل هذه القضايا عن طريق النواب، وإن كان يمكن أن يكون التقى به سلام الله عليه مباشرة – فجاء الجواب عن الإمام: وصلت خمسمائة درهم لك منها عشرون درهما " (١).

مثل هذه الكرامات كانت تظهر للإمام سلام الله عليه، فكانت تعزز وجوده الحسي.

الطريق الثالث: هو عبارة عن الأجوبة على مختلف المسائل، فكان الإمام سلام الله عليه يجيب عليها، وأنا بينت أن البحث مبني على الجدولة، وإلا لو أردنا أن نبسط الكلام في تعداد المسائل التي وردت فيها توقيعات الإمام سلام الله عليه لكانت كثيرة جدا.

ونفس هذه المسائل والأجوبة عليها ومتانتها وانسجامها مع أجوبة آبائه الأئمة الطاهرين مما يعني أن العين نفس العين الصافية التي كانت تصدر منها المسائل عن الأئمة الأطهار سابقا، أنها صادرة من إمام، لا من شخص عادي.

الطريق الرابع: هو الخط الخاص للإمام سلام الله عليه، فهنالك للإمام كما أشرنا في ثنايا حديثنا خط خاص، هذا الخط الخاص مألوف ومأنوس في زمن أبيه الإمام العسكري (عليه السلام)، وقد نص الصدوق رحمه الله

---

١ – كمال الدين: ٤٨٦ ح ٥، الغيبة للطوسي: ٤١٦ ح ٣٩٤.

بأنه من جملة الطرق التي كان يعرف الناس بها وجود الإمام سلام الله عليه وصدق دعوى سفارة من ادعى السفارة، كان ذلك من خلال معرفة خطه (عليه السلام)، لأن الرسائل كانت تصدر بخطه وتوقيعه مؤرخة بتأريخها أيضا، مما كانت تؤكد لكل من كان له تماس بالإمام سلام الله عليه وبواسطتهم لبقية الطبقات كانت تؤكد وجوده (عليه السلام).

وهنالك مباحث أيضا طويلة الذيل كما يقال أخرى، وتفاصيل عديدة أيضا في هذا المجال، ولكن لضيق الوقت نكتفي بهذا المقدار من البحث، وأترك الباقي من خلال أجوبة الأسئلة.

ولكن بالمناسبة، في قضية السفراء الأربعة كان بودي أن أفيض فيها أطول من ذلك، ولكن لضيق المقام اكتفيت بما ذكرته.

وهنالك توقيع من توقيعات الناحية المقدسة أرغب للتبرك أن أختم به، لا سيما وأنه خاتمة الغيبة الصغرى أيضا، حيث جاء في هذا التوقيع من الناحية المقدسة لآخر نائب وهو النائب الرابع وهو السمري، وهو نص رسالة الإمام سلام الله عليه للنائب الرابع، يوصيه فيها بأن لا يوصي من بعده لشخص آخر فقد انتهت الغيبة الصغرى، وهذه الرسالة تشهد عباراتها على صدورها من تلك الناحية المقدسة، يقول:

" بسم الله الرحمن الرحيم، يا علي بن محمد السمري، أعظم الله أجر إخوانك فيك ".

يعني هذا في حياته، فالإمام سلام الله عليه نعى إليه نفسه في حياته، وهذه القضية رواها كل من مر بها من علماء الطائفة، كالصدوق

والطوسي وأمثال هؤلاء قدس الله أسرارهم.
" فإنك ميت ما بينك وبين ستة أيام ".
هذا يرتبط بموضوع علم الغيب، ونحن بينا في محاضرات سابقة أن موضوع علم الغيب يختص بالله عز وجل، ولكن الله يطلع على بعض المعلومات الغيبية من ارتضى من خلقه.
" فاجمع أمرك ولا توصي إلى أحد فيقوم مقامك بعد وفاتك، فقد وقعت الغيبة التامة، فلا ظهور إلا بإذن الله تعالى ذكره، وذلك بعد طول المدة وقسوة القلوب وامتلاء الأرض جورا " (١)، إلى آخر توقيعه المقدس صلوات الله وسلامه عليه.
والحمد لله رب العالمين، ونسأل الله سبحانه وتعالى بحق صاحب الأمر أن يوفقنا جميعا أن نكون جنودا أوفياء له (عليه السلام) وأن نكون مقبولين عنده، فإنه من أهل بيت رضاهم رضا الله وغضبهم غضب الله.
اللهم ارزقنا رضاه ورأفته، اللهم قر عيوننا بطلعته المباركة، اللهم عجل فرجه وسهل مخرجه واجعلنا من أنصاره والشهداء بين يديه.
وصلى الله على سيدنا محمد وآله الطاهرين.

---

(١) - كمال الدين: ٥١٦ ح ٤٤، الغيبة للطوسي: ٣٩٥ ح ٣٦٥.

ملحق البحث (١)

الرؤية في زمن الغيبة:

ورد في بعض النصوص: أنه من ادعى الرؤية في زمن الغيبة الكبرى فلا تصدقوه (٢).

المقصود من الرؤية في هذا المقام كما يستفيد المحققون باعتبار الجمع بين قضية أن الإمام سلام الله عليه غيبته غيبة هوية كما قلنا لا غيبة شخصية فبالنتيجة يمكن أن يلتقي مع الناس، لكي نجمع بين هذا المعنى وبين من ادعى الرؤية فلا تصدقوه، هكذا حملوه على أحد محامل:

المحمل الأول: أن المقصود من الرؤية مع السفارة والنيابة، يعني

---

(١) - يعقب المركز ندواته العقائدية بالإجابة على الأسئلة، وتتميما للفائدة نذكر في هذا الملحق الإجابة على بعض الأسئلة مع الاختصار وحذف الأسئلة والاكتفاء بوضع عنوان لكل سؤال.

(٢) - كمال الدين: ٥١٦ ح ٤٤، وفيه: " ألا فمن ادعى المشاهدة قبل خروج السفياني والصيحة فهو كاذب مفتر ".

من ادعى أنه رآني وأني وكلته فلا تصدقوه، لأن المفروض أنه في زمن الغيبة الكبرى لا توجد نيابة شخصية كما ذكرنا سابقا، يعني الإمام سلام الله عليه لم يستنب شخصا بعينه، وإنما النيابة العامة للفقهاء العدول كما سمعتم في التوقيع السابق: " وأما الحوادث الواقعة فارجعوا فيها إلى رواة حديثنا فإنهم حجتي عليكم وأنا حجة الله "، فهنا المقصود بالرؤية ليست الرؤية العادية، بل الرؤية المقرونة بدعوى السفارة والنيابة، هذا أول محمل.

المحمل الثاني: أن المقصود بالرؤية الرؤية التي يراد منها ترتيب آثار معينة على قول الرائي، لأن هذا أمر مشكل أن يأتي إنسان فيقول رأيت الإمام سلام الله عليه وقال لي كذا، قال لي اصنع كذا، إفعل كذا، لا تفعل كذا، إذا فتحنا الباب أمام هذا المعنى يعني أن نصدق كل من يدعي الرؤية في أن ينقل عن الإمام ما شاء فإن ذلك سوف يولد إرباكا كبيرا في الأحكام وفي عقائد ومفاهيم الشريعة الإسلامية.

فالمقصود هنا بالرؤية ليس مجرد الرؤية للإمام سلام الله عليه، وإنما المقصود الرؤية المصحوبة إما بدعوى النيابة، أو المقصود بها الرؤية التي يريد بها الرائي ترتيب الأثر على كلامه.

أنتم تعلمون أنه في زمن الغيبة الكبرى من رأى الإمام سلام الله عليه وأيقن في ما بينه وبين الله أنه رأى الإمام، فرؤيته حجة عليه، أما سائر الناس فلا يكون ذلك حجة عليهم.

فلعل الإمام يقول لا تصدقوه لا يقصد بأنه لم ير، لعله يريد: لا ترتبوا الأثر، لأن هذا قد يجئ يدعي الأحكام الشرعية يقول قال لي

الإمام أن حكم الشئ الفلاني حرام، أو أن المسألة الفلانية في المكان الفلاني، يمكن من يدعي الرؤية عادة لها ملازمات ولها لوازم نقل أخبار ونقل وقائع ونقل أحكام، لا تصدقوه، يعني لا ترتبوا الأثر على كلامه.

هذا من قبيل ما ورد في باب القسامة، الرواية الواردة في الوسائل:

"... كذب سمعك وبصرك عن أخيك، فإن شهد عندك خمسون قسامة وقال لك قولا فصدقه وكذبهم... " (١)

ليس المقصود هنا كذب هؤلاء يعني ترميهم بالكذب بأنهم واقعا لم يسمعوا، لا، خمسون قسامة، وكل قسامة خمسون، يعني الفين وخمسمائة، هؤلاء لا يكذبون عادة، ربما مع ذلك الإمام يقول كذب سمعك وبصرك وصدق أخاك.

المقصود بلا تصدقوه لا يعني أنه كذبوه، يعني إنما المقصود لا ترتبوا الأثر على دعواه الرؤية، فرؤيته له على كل حال، هذه نقطة.

المحمل الثالث: ربما أيضا يمكن أن يقال: أنه من ادعى الرؤية باعتبار أن الذي يدعي الرؤية يتكلم عن أنه متيقن برؤية الإمام سلام الله عليه، يقول: رأيته هو، وهذا بحسب الظاهر من كثير من الروايات الواردة أنه تشخيص يقيني لمن يرى الإمام في زمن الغيبة الكبرى، والتشخيص اليقيني عادة لا يحصل، والظن القوي يحصل، حتى العلماء الذين نقلت عنهم قضايا كثيرة وقصص كثيرة أنهم التقوا بالإمام

---

(١) - الوسائل ١٢: ٢٩٥ ح ١٦٣٤٣.

سلام الله عليه، لم ينقل بعنوان اليقين، ينقل قضية يظهر من قرائن هذه القضية أن الذي رآه هو الإمام سلام الله عليه، أما أن يجزم، هذا ليس مألوفا من طريقة علمائنا في نقل لقاءاتهم مع صاحب الأمر (عليه السلام).

زواج المهدي المنتظر:

مسألة زواج المهدي المنتظر (عليه السلام) مسألة هامشية كما تعلمون، يعني هي مسألة مثارة، ولكن مما يهون الخطب أنها مسألة هامشية، يعني ليست في خطر تلك المسائل الأخرى أو المسألة السابقة، على العموم للإمام سلام الله عليه ظروفه الخاصة كما تعلمون، مسألة زواجه وعدم زواجه مرهونة بظروفه.

وموضوع الزواج فيه ذيول كثيرة للحديث يرتبط بعضها بقضية الجزيرة الخضراء، ويرتبط بعضها بنسب المتنبي، فإن بعضهم حاول أن يقول بأن المتنبي الشاعر المعروف أحد ذرية الإمام المهدي سلام الله عليه، يعني فيما يقرنون من بعض القرائن ومن نفسه.

هذا عالم في ذاته، عالم ظريف طريف ولطيف، لكن فيه مزالق كثيرة، ولسنا مسؤولين عنه، يعني هل تزوج؟ أين يعيش؟ كم له ذرية؟ هذه مسائل هامشية لسنا مسؤولين عنها وفيها مزالق، فلهذا مثل هذه المطالب ربما يقال إن الأحرى التوقف فيها والسكوت عنها.

عصمة النواب الأربعة:

القاعدة العامة في قضية التوكيل بذاتها إنها لا تقتضي ولا تستلزم العصمة، لكن في خصوص النواب الأربعة، ومن طبيعة التوكيل الذي

ورد في حقهم: " اسمعوا له وأطيعوا فإنه لا يقول إلا عن قولي "، مثل هذا النص إذا أخذناه بإطلاقه نستفيد أن هذا السفير لا يفتري على الإمام ولا يكذب، وهذا المقدار من صدقه في النقول عن الإمام سلام الله عليه، نحرزه من صيغة توكيل الإمام سلام الله عليه، لا من مطلق التوكيل.

نحن نعلم أن هناك أشخاصا وكلهم الأئمة سلام الله عليهم ثم خانوا أماناتهم، من قبيل البطائني، ومن قبيل أشخاص كانوا ولاة من قبل أمير المؤمنين سلام الله عليه ثم خانوا أماناتهم، وكلهم الإمام وعينهم ولاة على البلدان:

فأصل التوكيل لا يقتضي العصمة، ولكن إذا كانت صيغة التوكيل فيها عناية خاصة من قبيل أنه لا يقول إلا عن قولي ولا يظهر منه ما ينافي الاستقامة، ولم يرد من الإمام سلام الله عليه ما يدل على انفساخ عدالته، فحينئذ نقول بأن هذا رجل في تمام نقوله صادق ومطابق للواقع وأنه أمين، هذا المقدار نكتفي ونلتزم به.

التسمية:

فيما يتعلق بقضية التسمية أن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) والأئمة السابقين (عليهم السلام) نصوا على الاسم، وهذا أمر لا مرية فيه ولا سترة فيه كما يقال، لكن الكلام أن الإمام سلام الله عليه في الغيبة الصغرى وفي بدء الغيبة الصغرى كان ينهى عن التسمية في مجالات التقية فقط، لا في مطلق المجالات، يعني لا دليل عندنا أن الإمام (عليه السلام) نهى عن مطلق التسمية، وإنما نهى عن التسمية لغرض الحفاظ عليه، بدليل أنه إذا وقع

الاسم مثلا دل على المكان، هذا قرينة، يعني هو أشبه بالواقع، بيان العلة للنهي، فإذا لم يلزم من ذكر الاسم الدلالة على المكان فلا إشكال، من قبيل أنه يقال: لا تأكل الرمان لأنه حامض، المثال الذي يستعمله الأصوليون، فإذا لم يكن حامضا فكله مثلا.

ففي هذا المورد الإمام إنما نهى عن التسمية باعتبار قضية الدلالة، باعتبار أن هذه القضية وجدانية الآن حتى في زماننا، فإذا كانت مثلا السلطة تطلب شخصا بالدرجة الأولى وتحاول التعرف على اسمه، ومن بعد المعرفة باسمه تتحرك لمعرفة مكانه، أما بدون أن تعرف اسمه كيف تشخص مكانه؟ هذه قضية وجدانية في الواقع ولا سيما في ذلك الزمان، باعتبار أن القضية في أوجها والسلطة العباسية كانت تبحث عن الإمام سلام الله عليه وتحاول رصده والقضاء عليه، وجرت محاولات عديدة لاغتياله (عليه السلام) وفشلت، فلهذا الإمام كإجراء في تلك الحالة وفي تلك الظروف كان ينهى عن التسمية فيما يرتبط بالحفاظ عليه وعدم الدلالة على مكانه، أما إذا لم يلزم منه هذا المحذور فلا بأس بالتسمية، فقد سماه رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم).

الفرق بين النائب والسفير:

السفارة كما قرأنا توقيع الإمام سلام الله عليه، بمعنى أن الإمام ينص على شخص معين يقول هذا وكيلي وقوله قولي، هذا المعنى انتهى بالنائب الرابع وهو السمري، أما في زماننا يعبر نائب، قلنا النائب العام، المقصود بالعمومية هنا عمومية دليل التعيين، يعني دليل التعيين ما جاء باسم شخص، يقول فلان وكيلي، إنما جاء ببيان النوع،

أعطى عنوانا عاما فقال: " وأما من كان من الفقهاء صائنا لنفسه حافظا لدينه مخالفا لهواه مطيعا لأمر مولاه فللعوام أن يقلدوه " (١)، وإن كان هذا الكلام يرويه الإمام العسكري سلام الله عليه عن الإمام الصادق (عليه السلام).

وورد في التوقيع: " أما الحوادث الواقعة فارجعوا إلى رواة حديثنا فإنهم حجتي عليكم وأنا حجة الله " (٢)، هذا عنوان عام.

فالمقصود بالنائب في زماننا هو عبارة عن الفقيه العادل الجامع للشرائط الذي يقوم مقام الإمام سلام الله عليه في تبليغ أحكام الدين وفي إدارة شؤون المسلمين وحفظ بيضة الإسلام.

هذا هو المقدار المقصود، ولا يدعي هذا النائب بأنه ينقل عن الإمام مباشرة، ولا يوجد عندنا نائب اليوم من النواب ولا فقيه من الفقهاء أو عالم من العلماء يقول أنا أنقل لكم قول الإمام مباشرة، أنا سمعت من الإمام مباشرة، وإنما نرى علماءنا يستندون إلى مصادر التشريع المتعارفة، مصادر الاستنباط، الكتاب والسنة والاجماع والعقل، ولو كان هناك رؤية للإمام (عليه السلام) مباشرة لاستغنى هذا النائب عن مراجعة بعض هذه المصادر.

---

(١) - الاحتجاج ٢: ٥١١ ح ٣٣٧.

(٢) - كمال الدين: ٤٨٤ ح ٤، الغيبة للطوسي: ٢٩١ ح ٢٤٧.